غرامي الأول :

لذة الحب لحظة ...

للكاتب الفرنسي موريس دونای

ترجمة المرحوم الأستاذ يونس السبعاوى

سأحدثكم عن حبي في أيام شبابي منذ نصف قرن مضى . ومالي لا أعيد تلك الصفحات وأنا أرى هذا الشباب الجديد سابحاً في عالم بعيد عن الشعر والخيال ؟ ...

ومن حقه أن يكون كما تراه ، فهو في زمن أزمات وضيق سدت في وجهه أبواب الأمل ونشرت على خطواته ظلام اليأس فلم يأمن على المستقبل ولم يطمئن إلى الغد .

منذ نصف قرن مضى كان المهد عهد خيال ، وكان للنساء في أفكارنا وتصوراتنا مقام غير مقامهن في هذه الأيام ، ولقد قرأنا الكثير من روايات الغرام ، وكان أدبنا كما قال عنه (بركسون) شهواني الاتجاه . فلا تقرأ فيه إلا ما يحدثك عن الحب والنساء .

***

عرفت أنجيل فكانت يوم عرفتها فتاة في الثامنة عشرة ولكنها جمعت نضوج النساء ودل وضعها على أن لها ماضياً ماحاولت أن أسألها عنه . وكانت تعمل في أحد محال الأزياء وتعيش مع أبوين فقيرين من عامة الناس . ولقد طالما سألت نفسي كيف استطاع هذان الأبوان البسيطان أن يلدا هذه الحسناء البارعة الجمال ! فقد كانت تمثل في امتشاق قامتها واعتدال جسمها واتساق حركاتها نضرة الربيع فتسبي الناظرين بيدين ورجلين طويلة ناعمة وبشعر أصفر ذهبي وأنف صغير وعينين كبيرتين .

رأيتها لأول مرة في ثوب فتان وتحدثت إليها فلم أر منها ازوراراً عن أحاديث الأدب ، وهي وإن لم تكن بارعة الثقافة فان لها إلماما بكل ما يتيسر لواحدة من طبقتها من العلوم . فكنت أنظم فيها الشعر فتقرأه وتلحن ، وما ذا يضيرني أن تلحن أنجيل وهناك كثير من الفتيات يقرأن الشعر أحسن قراءة فلا يجدن من يقول فيهن شعراً ! وكانت تهوى الفن وملاعب الفنانين وتحب الموسيقى والشعر والرسم فتحب معها الموسيقين والشعراء والرسامين ، ولكنها تفضل الأخيرين لأن هذه الحسناء المفتونة بحسنها يعجبها أن ترى رسمها في صورة رسام أكثر مما تراه في أبيات شاعر أو أنغام موسيقي .

وكان لي أصدقاء من الموسيقيين والشعراء والرسامين فعرفتها بهم وأنا فخور ، ولكن الغرور قرين الرعونة كما يقولون ...

وكانت في أول أيام تعارفنا لا تعرف غير الأناشيد القديمة تعلمتها من روايات سخيفة فتنشدها بصوتها الهادىء الحزين فتخرج على تفاهتها حاملة للسامع كل معاني الحزن والألم ، فأخذت بعد حين تحدثني عن أحدث الأناشيد وتنشد ما لم أكن قد سمعته ، وأصبح صوتها شيئاً آخر غير ذلك الصوت الهادئ الحزين . وقد راعني هذا منها ولكني لم أسألها عمن علمها هذا الغناء الجديد .

وسارت أنجيل على هذا المنوال فأصبحت تقرأ أحدث الروايات وأولعت ببعض الكتاب دون أن أدلها عليهم ، فأخذت أتلمس فيها تغيراً ورقياً كنت أعزوهما لتأثيري عليها فأزداد تيهاً .

ثم أصبحت تتغيب عن مواعيدي كثيراً . ولقد طالما انتظرتها حتى إذا ما دنت ساعة اللقاء جاءني منها كتابها الأزرق الصغير الذي أعرف خطها في عنوانه فأفتحه بقلب واجف وأقرأ ما فيه بهلع لأنتهي منه فأعرف ما كنت أخشاه ، وهو أني حرمت متعتي في ذلك المساء فتنتابني الهموم وتساورني الشكوك فأسأل نفسي أين هي الآن ؟ وماذا تعمل ؟ وأكثر من هذه الأسئلة التي طالما رددها المحبون المظلومون وسألوا فيها عن أحبابهم الغائبين . وأعود إلى غرفتي فأجلس في مقعدها الوحيد ثم آخذ كتاباً فأحاول أن أقرأ فيه ولكن الأفكار تساورني من جديد فأسأل نفسي أين هي الآن ؟ وماذا تعمل ؟

ولقد أولعت من أيام الدراسة بالفريد دي موسيه فحفظت له (الليالي) عن ظهر قلب ، وعودت قلبي على احتمال الآلام فكنت أذكر لقاءنا الأول وأيام حبنا الأولى فتلخذني الأفكار وتمر

الساعات وتكون الساعة الثانية بعد منتصف الليل، وهكذا أقضى ليلة الفرح المنتظر فى ترح وشجون وأبيت حليف الآلام والهموم.

وكان لى صديق ظريف كنت أتحدث إليه ذات يوم عن الحب والنساء فبادرنى بهذا السؤال :

— أتجتمع كثيراً بأنجيل ؟

— أجتمع بها ولكن أقل مما أريد .

— وهل تحبها ؟

— وكيف لا ؟

— وهل تحبك ؟

— ومن يعرف حقيقة قلوب النساء؟ ولكن أعتقد أنها تحبنى

— وهل أنت واثق من إخلامها لك ؟

وسكت عند هذا السؤال وسكت معه طويلا ، وكنت أعرف فى هذا الصديق ميلا إلى المزح والنكتة ، فأخذت أحدق فيه عسى أن ألمح عليه علامات المزح فيما يقول فوجدت أثر الجد ظاهراً عليه ففار دمى وزاد ألمى وأحس بهذا منى فأراد التراجع قائلا : إنه لم يقصد شيئاً بما قال . فألححت عليه أن يبوح بما يسر لأنى أريد أن أعرف الحقيقة ، فقد أصبحت من شهور رهين الوساوس والشكوك ، وإن الذى ينقذنى من هذه الشكوك يسدى إلىّ جميلا لا أنساه مدى الحياة .

فقال على عادته فى المزح : تقصد أنك لا تنسى له هذه الإساءة ما دمت حياً . فقلت له : إنك لا تعرفنى جيداً وإن عليك أن تبوح لى بكل ما تعرف .

وهنا أخذت أصف له آلامى وصفاً صادقاً . فرق لحالى وحمله قلبه الطيب أن يتير الطريق أمام هذا الصديق الأعمى ؛ فراح يصف لى خياناتها وتعلقها الآن بصديق من أصدقائنا لا يخلو من الرقة على ضخامته .

والواقع أنى لم تدهشنى هذه الاخبار فقد أعددت لها نفسى من زمن فأشبعت رغبتى فى معرفة أحوال أنجيل ، ولم يكذبنى صديقى فيما قال فقد سألتها أول مرة رأيتها فيها بعد هذا الحادث وطلبت منها أن تفصح لى عن الحقيقة فإذا بها تثور ثورة اللبؤة المغضبة وتركتنى بلا كلام ولا سلام .

فعدت لنفسى وقلت إنى قد أكون مخطئاً فى حكمى ، وإن من الخير لى أن أعرف الخبر اليقين من صديقها الجديد . فمثرت عليه فى ليلة حالكة من ليالى الشتاء ودام بيننا الحديث ساعة أو يزيد وكنت أكلم هذا المناقس السعيد بصراحة تامة آملا أن يصارحنى بمثلها ولكنه أخذ يفند ما اتهمته به ويقسم أنه لا يعرف شيئاً مما قلت ، وإن علاقته بأنجيل علاقة صداقة لا غير ، ولكن اضطرابه واحمراره ومغالاته فى التظاهر بالبراءة حملتنى على الاعتقاد بأنه يكذب فيما يقول .

مطبعة الرسالة

تقدم قريباً

الذوق الفني والطبع الأنيق

فى الطبعة الجديدة من كتاب :

تاريخ الأدب العربى

للأستاذ أحمد حسن الزيات

سكك حديد الحكومة المصرية

عرض الاعلانات بالمحطات

لقد وجهت المصلحة كل عنايتها إلى المحطات فاقامت بها لوحات خشبية أعدت خصيصاً لعرض الاعلانات فضلا عن أنها تبذل مجهوداً صادقاً من وقت لآخر فى تجميل تلك المحطات حتى أصبح الإعلان فيها من أحسن وسائل الدعاية التى تنشدها كل من يرمى إلى التوسع فى أعماله وكل تاجر يسعى إلى رواج تجارته .

وتتقاضى المصلحة جنيهين مصريين عن المتر المربع فى السنة وهى قيمة زهيدة تكاد لا تذكر بجانب أهمية الاعلان الذى يتصفحه الآف المسافرين فى اليوم الواحد .

ولزيادة الاستعلام اتصلوا :—

بقسم النشر والاعلانات

بالادرة العامة — محطة مصر

مطبعة الرسالة